

خطبه الجمعة - الخطبة ٠٣١٤ : خ ١ - نفوس البشر نوعان (مؤمنة طليقة وكافرة رهينة) ، خ ٢ -
الحجامة.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٠-٠٨-٣١

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الأولى:

الحمد لله نعمده ، ونستعين به ونسترشده ، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إقراراً بربوبيته وإرغاماً لمن جحد به وكفر .
وأشهد أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم رسول الله سيد الخلق والبشر ، ما اتصلت عين بنظر ، أو سمعت أذن بخبر . اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد ، وعلى آله وأصحابه وعلى ذريته ، ومن والاه ومن تبعه إلى يوم الدين . اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً ، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين .

نفوس البشر نوعان :

أيها الأخوة المؤمنون ؛ لا أدري لماذا اتجهت نفسي كي تكون سورة المُدَّثِرِ محوراً لخطبة اليوم . الله سبحانه وتعالى يقول :

﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ * إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ * فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ الْمُجْرِمِينَ * مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمَسْكِينِ * وَكُنَّا نَحُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ * وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ * حَتَّىٰ آتَانَا الْيَقِينَ * فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ * فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ * كَانَتْهُمْ حُمْرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ * فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴾

[سورة المدثر: ٣٨-٥١]

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ نفوس البشر نوعان : نفوس مؤمنة طليقة ، ونفوس كافرة رهينة . نفس الإنسان المعرض عن الله ، ذي العمل السيئ ، المنحرف ، المتقلت من أمر الله عز وجل ، الذي يُسيء للناس ، هذا الإنسان رهين عمله . كيف أن الإنسان في الدنيا إذا كان يعيش في مجتمع له حقوق ، وعليه واجبات ، فإذا ارتكب جريمة أُلقي القبض عليه ، وفقد حريته، وأُلقي في السجن ، وأصبح رهين جريمته ، وسوف يدفع الثمن باهظاً . هذا في قانون البشر ، هذا في المجتمعات الإنسانية ، فما بالكم عند خالق البشر ؟ ربنا سبحانه وتعالى يقول:

﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾

الإساءة التي أساءها الإنسان مرتتهن بها ، مقيدٌ بها ، لا يستطيع منها فكاكاً ، لا يستطيع أن ينطلق كما يريد .

أيها الأخوة الأكارم ؛

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ﴾

[سورة الحشر : ١٨]

افحص عملك ، هل بني عملك على إيقاع الأذى بالآخرين ؟ هل بني رزقك على غشِّ الناس ؟ على بئِّ الخوف في نفوسهم ؟ هل تبني مجدك على أنقاض الآخرين ؟ هل تشبع ويجوع الناس ؟ هل تحيا ويموت الناس ؟ هل تطمئنُ ويخاف الناس ؟ افحص عملك . إنك رهينٌ به ، افحص كسب المال ، افحص إنفاق المال ، هل عليك حقوقٌ لم تُؤدها ؟ هل هناك تقصيرٌ ؟ هل هناك إساءةٌ ؟ هل هناك انحرافٌ ؟ هل هناك معصية في بيتك ؟ في أهلك ؟ في أولادك ؟ في بناتك ؟ في كسب رزقك ؟

﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾

[سورة المدثر : ٣٨]

السجناء : لكل سجينٍ إضبارة ، وفي كل إضبارة ضبطٌ ، فيه وصفٌ لعمله ، ولكل عملٍ جزء ، ولكل عمل حساب .

﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾

[سورة المدثر : ٣٨]

يا أيها الساهي ، يا أيها اللاهي . إلى متى أنت باللذات مشغول ؟ لا ينبغي للإنسان أن تستهلكه الحياة ، أن يقوم ، وينام ، ويقعد ، ويعمل ويقول : هكذا الناس ، وأنا مع الناس ، إن أحسن الناس أحسنت ، وإن أسوأوا أسأت . أين عقلك ؟ أين تفكيرك ؟ لا بد من تأمل ساعةٍ في اليوم ، لا بد من مراجعة الحسابات ، لا بد من فحص النية ، لا بد من قياس العمل أينطبق على الشرع ؟ أيرضي عملي ربي ؟ هل ربي راضٍ عني أم ساخطٌ عني ؟

أين أنا من عمل الشرع ؟ هل عملي منطبقٌ أم منحرف عنه ؟

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ هذا الذي يسير هكذا من دون تأمل ، من دون توقف ، من دون فحص ، من دون نقد ، من دون محاسبة . إنه هالكٌ لا محالة . النبي عليه الصلاة والسلام يقول : " حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم " من حاسب نفسه في الدنيا حساباً عسيراً ، كان حسابه يوم القيامة يسيراً ومن حاسب نفسه في الدنيا حساباً يسيراً ، كان حسابه يوم القيامة عسيراً .

كل إنسان مخير في عمله فالفعل فعل الله و الكسب كسب الإنسان :

أيها الأخوة الأكارم ؛

﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾

[سورة المدثر : ٣٨]

ما معنى كسبت ؟ أي العمل الذي انبعثت إليه ، الذي اخترته ، الذي أردته ، أنت مُخَيَّر . الفعل فعل الله ، والكسب كسبك . الفعل فعل الله والانبعث انبعثت . لماذا أقدمت؟ ولماذا أحجمت ؟ لماذا أعطيت ؟ ولماذا منعت ؟ لماذا وصلت ؟ و لماذا قطعت ؟ لماذا تبسمت؟ ولماذا عبست ؟ لماذا رضيت ؟ ولماذا غضبت ؟ هذا هو الكسب . على هذا تحاسب .

الفعل فعل الله ، ولكن الكسب كسب الإنسان .

﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾

[سورة البقرة : ٢٨٦]

﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسَأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

[سورة الحجر : ٩٢-٩٣]

هذا السّاهي ، هذا اللاهي ، الذي نسي المبتدى ، والمنتهى . بئس العبد عبداً سهواً ، ولها ، ونسي المبتدى ، والمنتهى . بئس العبد عبد طغى ، وبغى ، ونسي الجبار الأعلى . بئس العبد عبد طمع يذله ، ورغب يستهويه .

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛

﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِيْنَةٌ ﴾

[سورة المدثر : ٣٨]

الأعمال السيئة أحمالاً كالجبال ، كابوسٌ ضاغط . المسيء كالذي يتخبطه الشيطان من المس ، يشعر أن الدنيا كلها فوقه ، وأن الحياة قاتمة ، وأن قلبه يكاد ينقطر ضيقاً ، مع أن المال موفورٌ بين يديه . هذا هو مصداق قوله تعالى :

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾

[سورة طه : ١٢٤]

فلما سأل بعضهم بعض المفسرين : فما بال الأغنياء في هذه الآية ؟ فقال : ضيق القلب .

الفرق بين الإنسان المطمئن و الإنسان القلق :

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ ما يقوله الناس ، ما يعبرون عنه من الآمهم ، من ضيقهم ، من سأمهم ، من ضجرهم ، من قلقهم ، من خوفهم ، من ضياعهم . إنما هو نتيجة أولية لعملهم السيئ ؛ لأن :

﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِيْنَةٌ ﴾

[سورة المدثر : ٣٨]

إنسان يُلقى القبض عليه ، مودع في السجن ، لأنه ارتكب جريمة ، كلما وُضع مفتاح الزنزانة في الباب ظنّ أنهم جاؤوا ليعدموه ، حياةً كلها قلق في قلق .

﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِيْنَةٌ ﴾

[سورة المدثر : ٣٨]

إذا كان كسب المال حراماً ، إذا كان إنفاق المال حراماً ، إذا كان هناك عدوانٌ على أعراض المسلمين ، إذا كان هناك إطلاقٌ للبصر ، إذا كان هناك حرية في اقتناص الشهوات ، وحرية في كسب الأموال . فإن المشكلة كبيرة جداً .

﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾

[سورة المدثر: ٣٨]

أما هؤلاء المستثنون ، هؤلاء الطلقاء ، هؤلاء الأحرار ، هؤلاء الذين إذا مشوا على الأرض شعروا بخفة في أجسامهم ، إنها خفة الطاعة . شعروا ، وكأنهم يطيرون ، إنه طيران الإقبال ، إنه عز الطاعة ، إنه الشعور بأن الله يحبهم ، ما من شعور أيها الأخوة المؤمنون ؛ والله الذي لا إله إلا هو ما من شعور أقدس ، ولا أسمى ، ولا أسعد ، من أن تشعر أن خالق الكون يحبك ، أنك على منهجه سائر ، أنك وفق أمره منضبط ، هذا شعورٌ لا يوصف .

أقرب هذا المعنى إلى أذهانكم : لو أن إنساناً له صلةٌ محدودةٌ ، لقاءً عابر بين إنسان عظيم الشأن بين الناس ، إن هذه الصلة ، وهذا التكريم ، وذاك اللقاء . يبعث في نفسه أشد أنواع السرور ، فكيف إذا كان اللقاء مع خالق البشر ؟ كيف ؟

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾

[سورة مريم: ٩٦]

﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ * إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴾

[سورة المدثر: ٣٨-٣٩]

﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴾

[سورة الحاقة: ١٩]

هكذا خُلق ، هكذا بنيت ، هذا ضعفٌ خلقِي لمصلحته .

﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا * إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴾

[سورة الحاقة: ١٩-٢٢]

هؤلاء لا يخافون إذا خاف الناس ، ولا يمتنعون ما لهم إذا منع الناس ، ولا ينحرفون إذا انحرف الناس .

﴿ إِلَّا الْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴾

[سورة الحاقة: ٢٢-٢٣]

دائم الصلة بالله ، دائم الإقبال عليه ، دائم الدعاء له ، دائم التهجد له ، دائم التذلل على أعبابه . قال تعالى:

﴿ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ * وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّغْلُومٌ * لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ * وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ * وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ * إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾

[سورة المعارج: ٢٣-٣١]

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛

﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِيْنَةٌ ﴾

[سورة المدثر: ٣٨]

افحص عملك ، افحص علاقاتك بالناس ، هل هناك علاقة لا ترضي الله ؟
هل في حياتك اختلاطاً مع نساءٍ لا يحلُّ لك أن تجلس معهنَّ ؟ هل في حياتك عادة لا ترضي الله ؟ هل
تقضي أوقات فراغك في شيء لا ينطبق مع الشرع ؟

﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِيْنَةٌ ﴾

[سورة المدثر: ٣٨]

النبي عليه الصلاة والسلام يقول : " لا يخافنَّ العبد إلا ذنبه ، ولا يرجونَّ إلا ربه " يا رب كم عصيتك ولم
تعاقبني ؟ وقع في قلب العبد - هتف به هاتف - أن يا عبادي كم عاقبتك ولم تدر ؟

﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِيْنَةٌ * إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴾

[سورة المدثر: ٣٨-٣٩]

هؤلاء المستقيمون على أمر الله ، هؤلاء الذي عرفوا الله ، فخشعت قلوبهم له ، هؤلاء الذين تعلموا أمر الله ،
فطبقوه . كل شيءٍ يحتاج إلى دورة . أما دينك فنتركه هكذا على الصدق . ألا تلتزم بمجلس علم ؟ إذا أردت
اللغة فلا بد من دورةٍ تمضيها ، سنوات طويلة ، إذا أردت حرفةً ، إذا أردت صنعةً ، إذا أردت تجارةً ، لا بد
من أن تلزم تاجراً كبيراً لتتعلم ، إذا أردت شهادةً ، لا بد من أن تقعد على مقاعد الدرس سنوات طويلة . دينك
لحمك ، ودمك . دينك ، دينك يا بن عمر إنه لحمك ، ودمك ، إنه مصيرك ، إنه سعادة إلى الأبد ، أو شقاءً
إلى الأبد .

هذا يترك للصدق . والله مشغول ، عندنا موسم . يجب أن تلتزم بمجلس علم ، يجب أن تفقه كلام الله ،
منهجك ، تعليمات الصانع ، أنت أعقد آلة في الكون ، لا بد لك من تعليمات ، افعّل ، ولا تفعل . في هذا
الموضوع قف هذا الموقف ، في هذه المناسبة انسحب منها ، في هذا العمل تطلع إليه ، ألا تحتاج إلى
تعليمات أم أنك تمشي وفق الأهواء ؟ وفق العادات البالية والتقاليد المهترئة ؟ ما الذي يحكم عملك فناعاً
زائفة أم شرع الله عز وجل ؟ إذا قلت : عقلي يقول : كذا . من أنت ؟ ومن عقلك أمام شرع الله عز وجل ؟

الغافل من أضاع الآخرة من أجل سنوات معدودة :

﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِيْنَةٌ * إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ * فِي جَنّاتٍ يَنْسَاءُونَ ﴾

[سورة المدثر: ٣٨-٤٠]

في نعيم مقيم . . .

((أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصّٰلِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ))

[متفق عليه عن أبي هريرة]

﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

[سورة السجدة: ١٧]

أتضيع الأبدية من أجل سنوات معدودة مشحونة بالفقر ؟ مشحونة بالهمّ والحزن ؟ مشحونة بالمرض ؟ مشحونة بالقلق ؟

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اتَّقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ﴾

[سورة التوبة : ٣٨]

تعال صلّ في المسجد ، تعال احضر هذا المجلس ، تعال استمع إلى تفسير كتاب الله ، تعال تعلّم سنة رسول الله ، تعال تعلم سيرة النبي عليه الصلاة والسلام ، سيرة أصحابه الأبطال ، تعلم دينك ، تعلم أمر ربك.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اتَّقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾

[سورة التوبة : ٣٨]

ألا تقرؤون القرآن ؟ ألا تصدقون الله العظيم ؟ ألا تقول بعد أن تقرأ القرآن الكريم : صدق الله العظيم ؟ الله العظيم يقول لك :

﴿ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾

في آية أخرى :

﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ ﴾

[سورة النساء : ٧٧]

أرضيتم بهذا المتاع ؟ اكتفيتم به ؟ هذا هو طموحك ؟ هذا هو معقد رجائكم ؟ هذا هو منتهى آمالكم ؟ هذا هو كل شيء ؟ أن تشتري بيتاً ، وأن تفرشه كما تريد ، وأن يكون لك مركبةً فارهة ، وأن يكون لك دخلٌ كبير ، وانتهى كل شيء ؟

﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴾

[سورة القيامة: ٣٦]

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾

[سورة المؤمنون: ١١٥]

هذا كل طموحك ؟ سنواتٌ معدودة ، ثم يأتي ملك الموت . ماذا فعلت ؟ ما العمل الذي تلقى الله به ؟ يا بشر لا صدقة ، ولا جهاد ، فبم تلقى الله إذا ؟ سؤالٌ خطير . هل بقي من عمره قدر ما مضى منه ؟ ماذا أعددت لهذا اليوم ؟ ماذا أعددت للقبر ؟

تهديد الله و وعيده لمن لا يستجيب له :

ثم قال تعالى :

﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ * فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ * عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ * ذُرِّيَّتِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴾

[سورة المدثر: ٨-١١]

يا محمد هذا الذي لا يستجيب لك دعه لي . ذرني : تهديداً ووعيد من الله عز وجل .
 ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً * وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُوداً * وَبَنِينَ شُهُوداً * وَمَهَدْتُ لَهُ تَمَهِيداً * ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ * كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيداً * سَأَرْهَقُهُ صُعُوداً ﴾

[سورة المدثر: ١١-١٧]

مصاعب تلو مصاعب ، مصائب تلو مصائب ، فقر بعد فقر .
 ﴿ سَأَرْهَقُهُ صُعُوداً * إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ * فَفَقِئَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ قَبَّلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ نَظَرَ * ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ * ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ * فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ﴾

[سورة المدثر: ١٧-٢٤]

كلام بشر ، إنه قول البشر .
 ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ * لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ * لَوَاحَةٌ لِلْبَشَرِ ﴾

[سورة المدثر: ٢٦-٢٩]

ليس هذا القرآن كلام محمد ، ليس هذا الدين بدعة ، وليست أمور الدين غيبيات. خوف الإنسان من الطبيعة دفعه إلى التدين ، أما الآن فقد سيطرنا على الطبيعة .

﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَنْ لَمْ تَغْن بِالْأَمْسِ ﴾

[سورة يونس : ٢٤]

موضوع الآخرة أخطر موضوع في حياة كل إنسان :

﴿ كَلَّا وَالْقَمَرَ * وَاللَّيْلَ إِذْ أَدْبَرَ ﴾

[سورة المدثر: ٣٢-٣٣]

أليست هذه آية دالة على عظمة الله ؟ هذا الخالق العظيم أيدع خلقه سدى ؟ بلا حساب ؟ بلا جزاء ؟ غني وفقير ، قوي وضعيف ، ظالم ومظلوم ، صحيح ومريض . هكذا وتنتهي الحياة ، ولا شيء بعد الموت ؟

﴿ كَلَّا وَالْقَمَرَ * وَاللَّيْلَ إِذْ أَدْبَرَ * وَالصُّبْحَ إِذَا أَسْفَرَ * إِنَّهَا لِإِخْدَى الْكُبَرِ * نَذِيرًا لِلْبَشَرِ ﴾

[سورة المدثر: ٣٢-٣٦]

إن أخطر موضوع تبخته موضوع الآخرة ، موضوع المصير ، موضوع عذاب أبدي ، موضوع جنة أبدية .
 ﴿ إِنَّهَا لِإِخْدَى الْكُبَرِ * نَذِيرًا لِلْبَشَرِ * لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴾

[سورة المدثر: ٣٥-٣٧]

﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ * إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ * فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴾

[سورة المدثر: ٣٨-٤١]

سؤال . سؤال خطير .

مشهد عظيم من مشاهد يوم القيامة :

رحمة الله بنا كبيرة ، مشهد من مشاهد يوم القيامة ذكره الله في القرآن .

﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴾

[سورة المدثر: ٤٢]

لماذا أنتم في جهنم؟ أهل الجنة، وهم يتتعمون، وهم على سررٍ متقابلين، وهم فيما تشتهي الأنفس، وتلذ الأعين، لهم فيها فاكهة وهم فيها مكرمون، هم وأزواجهم على سررٍ متقابلين. يسألون أهل النار: مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ؟ لماذا أنتم هنا؟ ألم يقل الله تعالى: "سأصليه سقر" استمعوا إلى جواب أهل النار. قَالُوا: "لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ" ضيعنا حق الله، لم نتصل به، لم نقبل عليه، لم نتوجه إليه، توجهنا إلى كل البشر إلا خالق البشر، أعرضنا عنه، طرقتنا كل باب إلا باب السماء، اصطلحنا مع كل إنسان إلا مع خالق الإنسان. قَالُوا: "لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ" لو صلينا. قال تعالى:

﴿ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾

[سورة النساء من الآية ١٤٢]

"لم نك من المصلين" ضيعنا حق الله، ما اتصلنا به. وقال بعض المفسرين: هذه الآية تعني كل حقوق الله، ذكر الله الجزء وعنى الكل. لم نتصل به، ولم نستقم على أمره، ولم نأتمر بما أمر، ولم ننته عما عنه نهى وزجر، ولم نعبأ بشرعه، ولم نأخذ بقانونه، ولم نقرأ القرآن، ولم نحرم ما حرم القرآن، ولم نحل ما أحل القرآن. هكذا "لم نك من المصلين" ضيعنا حق الله عز وجل، أما حقوقنا فكلها بعقودٍ موثقة. ترى الإنسان في أدنى حالاته في علاقاته مع الناس، أما في علاقاته مع الله عز وجل فالأمور كيفية، بلا ضبط، بلا محاسبة، بلا عتاب، بلا حساب، بلا تأمل. هكذا: "لم نك من المصلين، ولم نك نطعم المسكين" ضيعنا حق الله، وضيعنا حق العباد. قال بعض المفسرين: الله عز وجل ذكر الجزء وعنى الكل. ضيعنا حق الجار، ضيعنا حق الأب والأم، ضيعنا حق المسلمين، ضيعنا حقوق الزوجة. "لم نك نطعم المسكين" جعلنا شهواتنا محور حياتنا، جعلنا مصالحنا فوق كل شيء، آثرنا الدنيا على الآخرة فخرناهما معاً: "لم نك نطعم المسكين، وكنا نخوض مع الخائضين" مع عامة الناس، إن أحسن الناس أحسنا، وقلمًا يحسنون، وإن أسأؤوا، يا أخي: هكذا الناس، هكذا المجتمع، هكذا التقاليد، هكذا العادات، هكذا نشأنا، هكذا تربينا، هكذا السوق، هكذا التجار، هكذا البيع، لا بد من أن نغش المسلمين، عندنا عيالٌ كثيرون.

﴿ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴾

[سورة المدثر: ٤٥]

دينه ما يفعله الناس، لا ما أمر به الله عز وجل، دينه ما يراه بعينه. هكذا الناس، خرجت نساؤه كاسياتٍ عاريات، لماذا؟ هكذا الترتيب، هكذا العادات، هكذا الموضة.

﴿ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ * وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴾

[سورة المدثر: ٤٥-٤٦]

هذا التكذيب العملي، التكذيب النظري قلمًا يقوله أحد، لكن إذا فحصت أعمال المسلم، لا ترى في أعماله سعيًا للآخرة، لا ترى خوفًا من الله، لا ترى إنفاقاً لماله، لا ترى ضبطاً لشهواته، لا ترى شعوراً أن هناك آخرة عظيمة.

﴿ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ * حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ ﴾

[سورة المدثر: ٤٦-٤٧]

جاء ملك الموت .

الموت مصير كل إنسان لا محالة :

﴿ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴾

[سورة الفجر : ٢٤]

﴿ وَيَوْمَ يَعْضُ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴾

[سورة الفرقان : ٢٧-٢٩]

﴿ وَكُنَّا نَحُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ * وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ * حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ ﴾

[سورة المدثر : ٤٥-٤٧]

اليقين : الموت ، وسماه الله يقيناً ، لأنه متيقن وقوعه . هل في تاريخ البشر منذ آدم ، هل نجا أحدٌ من الموت ؟ كبيراً ، صغيراً عالماً ، جاهلاً ، عظيماً ، حقيراً ، قوياً ، ضعيفاً، حاكماً ، محكوماً ، ظالماً ، مظلوماً . هل نجا أحدٌ من الموت ؟ لذلك سماه الله اليقين . " حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ " متيقن حدوثه . والمعنى الآخر : الناس نيام إذا ماتوا انتبهوا ، ترى اللباب بعد أن كنت في القشور ، ترى حقائق الأمور بعد أن كنت في صورها ، ترى أن الله هو كل شيء . ألا كل شيءٍ ما خلا الله باطل وكل نعيمٍ لا محالة زائل :

﴿ حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ * فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾

[سورة المدثر: ٤٧-٤٨]

لا ينفعك مالك المقدس ، ولا ينفعك أهلك ، وعشيرتك ، ولا مكانتك ، ولا منصبك، ولا تجارتك ، ولا أولادك .

﴿ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ * فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ ﴾

[سورة المدثر : ٤٨-٤٩]

إلى أين هم سائرون ؟ إلى أين هم متجهون ؟ لماذا أداروا لهذا الدين ظهورهم؟

من منكم رأى حمار الوحش وقد نفرت من وحش الغابة ؟

﴿ كَانَتْهُمْ حُمْرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ * فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ * بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُنَشَّرَةٌ ﴾

[سورة المدثر : ٥٠-٥٢]

يريد كل واحدٍ منهم أن يؤتى ديناً على قد شهواته . هذا يقوله كل الناس ، هذه لم أقنع بها ، هذه ليس بها شيء ، هذه ليست حراماً ، يريد ديناً على قد شهواته ، يريد أن يكون شرع الله عز وجل وفق أهوائه .

﴿ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُنَشَّرَةٌ * كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ * كَلَّا إِنَّهُ تَذَكُّرٌ * فَمَنْ شَاءَ

ذَكَرَهُ * وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴾

[سورة المدثر : ٥٢-٥٦]

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ عودوا إلى هذه السورة ، سورة المدثر ، عودوا إلى هذه السورة وافحصوا أعمالكم في ضوء آياتها .

أيها الأخوة الكرام حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم ، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا غيرنا ، وسيتخطى غيرنا إلينا ، الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها ، وتمنى على الله الأمانى .

* * *

الخطبة الثانية :

أشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، صاحب الخلق العظيم ، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

الحجامة :

أيها الأخوة الكرام ؛ في جسم الإنسان معاملة موجودة في نقي العظام ، هذه المعاملة تصنع كريات الدم الحمراء . إن طاقة إنتاج هذه المعاملة اثنان ونصف مليون كرية حمراء في الثانية الواحدة ، في كل ثانية واحدة تنتج هذه المعاملة الموجودة في نقي العظام مليونين ونصف كرية . أي أحدهم إذا طبخ لحمًا مع عظمه ، وأراد أن يرى ما في جوف هذا العظمة ، يخرج منها لبّ أسود ، هذا اللب الأسود يسمى مخّ العظم ، معاملة كريات الدم الحمراء . هذه المعاملة تنتج في الثانية الواحدة مليونين ونصف كرية بالتمام والكمال . من أدق الأمور أن الإنسان إذا فقد جزءاً من دمه يزداد نشاط هذه المعاملة ، إذا أردت لهذه المعاملة أن يزداد نشاطها ، أن تجدد ، لأن هناك مرضاً خطيراً اسمه فقر الدم اللامصنع . أي هذه المعاملة لم يكتشف العلم حتى الآن سبب توقفها عن العمل . فجأةً يصاب الإنسان بفقر دمٍ شديد ، تفحص كرياتته ، فإذا هي مليوناً كرية في المليمتر المكعب ، المقياس الطبيعي خمسة ملايين ، تفحص معاملة الكريات فإذا هي متوقفة عن العمل ، هذا المرض لا يعرف أحد سببه ، سماه العلماء : فقر الدم اللامصنع . أي معاملة كريات الدم تتوقف عن التصنيع ، ولا بد من أن يموت الإنسان ، لكنهم اكتشفوا أنه إذا فقد الإنسان جزءاً من دمه ، هذه المعاملة تزيد من طاقتها ، تزيد من إنتاجها ، وبالتالي تنشط ، وكأنها تجدد ، لذلك ورد عن النبي عليه الصلاة والسلام أحاديث كثيرة وصحيحة تدعو إلى الحجامة ، والآن اكتشف العلماء سرّ الحجامة ، إنها تجديدٌ ، وصيانةٌ ، وتنشيطٌ لمعاملة كريات الدم الحمراء ، التي إذا توقفت عن العمل مات الإنسان . أيها الأخوة الأكارم ؛ في بعض الأحاديث يشير النبي عليه الصلاة والسلام إلى ارتفاع الضغط الشرياني .

((إذا اشتد الحر فاستعينوا بالحجامة ، لا يتبيغ الدم بأحدكم فيقتله))

[البخاري عن أنس]

تبيغ الدم ، هيجان الدم ، وفرة حجمه ، ضيق الشرايين به ، ارتفاع ضغط الدم ، إن الحجامة علاجٌ طبيعى ، ووقائى لارتفاع ضغط الدم ، أو ما يسمى بازدياد التوتر الشرياني . " احتجموا لا يتبيغ بكم الدم فيقتلكم " . وفي توجيه آخر . . احتجم النبي عليه الصلاة والسلام من شقيقة أصابته . والشقيقة وجع في الرأس مزمن . يا أيها الأخوة الأكارم ؛ إذا أيقنتم أن توجيهات النبي عليه الصلاة والسلام ليست من عنده .

﴿ وَمَا يُنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴾

[سورة النجم: ٣-٥]

إذا اعتقدتم أن كلام النبي عليه الصلاة والسلام من عند الله عز وجل ، ترؤن أن حديث النبي ما هو إلا تعليمات الصانع ، من أخير من الله بجسمك ؟

﴿ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾

[سورة فاطر : ١٤]

هو الصانع ، مهما تلقيت التوجيهات من أناسٍ مختصين ، إنها لا ترقى إلى مستوى توجيهات المعمل . إذا اشتريت آلةً ثمينة ، ومعها تعليماتٌ دقيقة ، إن أي نصيحة تأخذها من عامة الناس ، أو من متقفيهم ، أو من خبراءهم ، لا ترقى في مستواها إلى تعليمات الصانع .

كلام النبي عليه الصلاة والسلام تعليمات الصانع ، والله هو الخبير ، ففي كل أمرٍ أمر به النبي ، في كل شيءٍ نهى عنه ، الله سبحانه وتعالى يقول :

﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾

[سورة الحشر : ٧]

والنبي معصوم في التبليغ ، وفي التشريع ، وفي السلوك ، معصوم من أن يأمر أمراً فيه خطأ ، لأنك إذا أمرت أن تأخذ بأمره وكان أمره خطأ فكأنما أمرت بالخطأ ، وهذا مستحيل في حق الله عز وجل . لذلك من مبادئ العقيدة الصحيحة اعتقاد عصمة النبي في كل شيء ؛ في تبليغه ، وفي تشريعه ، وفي أقواله ، وفي أفعاله .

الدعاء :

اللهم اهدنا فيمن هديت ، وعافنا فيمن عافيت ، وتولنا فيمن توليت ، وبارك اللهم لنا فيما أعطيت ، وقنا واصرف عنا شر ما قضيت ، فإنك تقضي ولا يقضى عليك ، اللهم أعطنا ولا تحرمنا ، أكرمنا ولا تهنا ، آثرنا ولا تؤثر علينا ، أرضنا وارض عنا ، اللهم اقم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك ، ومن طاعتك ما تبلغنا بها جنتك ، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا ، ومتعنا اللهم بأسماعنا ، وأبصارنا ، وقوتنا ما أحييتنا ، واجعله الوارث منا ، واجعل ثأرنا على من ظلمنا ، وانصرنا على من عادانا ، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ، ولا مبلغ علمنا ، ولا تسلط علينا من لا يخافك ولا يرحمنا ، مولانا رب العالمين ، اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك ، وبطاعتك عن معصيتك ، وبفضلك عن سواك ، اللهم استر عوراتنا ، وآمن روعاتنا ، وأمنا في أوطاننا ، واجعل هذا البلد آمناً سخياً رخياً وسائر بلاد المسلمين ، اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين ، ولا تهلكنا بالسنين ، ولا تعاملنا بفعل المسيئين يا رب العالمين ، اللهم بفضلك ورحمتك أعل كلمة الحق والدين ، وانصر الإسلام وأعز المسلمين ، وخذ بيد ولائهم إلى ما تحب وترضى ، إنك على ما تشاء قدير ، وبالإجابة جدير .

والحمد لله رب العالمين